الإهداء

إلى آية ..ابنتي الغالية

obeikan.com

هل أمكن حضور جيفارا .. في أفريقيا؟

حلمي شعراوي

توفرت أمام الشعوب الأفريقية، عقب الحرب العالمية الثانية بوجه خاص ووسط الصراع الحاد بين معسكرى الحرب (الرأسمالى والاشتراكي) نماذج جديدة لمحاولات التحرر من الأنماط الاستعمارية التقليدية وسط اشتداد هذا الصراع، فعرفت شعوبنا النموذج السوفيتى، والمثال الصينى، وأمثلة قادة التحرر الوطنى، الناصرى والنكرومى، بل والنضال المسلح الجزائرى والكوبى، والغينى والأنجولى.... الخ.

كان أشهر ما وصلنا من الصيحات الأفريقية المعبرة عن حالة الانطلاق الجديد، فضلاً عن تجارب نكروما وناصر ومانديلا، انطلاقات «فرانز فانون» و«أميلكار كابرال»... والأخيران هما من أضافهما متابع جيد لثورات العالم الثالث؛ مثل «جيرارشاليان» واصفاً إياهما مع «تشى جيفارا» بأنهم «أساطير ثورية»... بكل ما قصده من تهوين عن إمكانيات«الأسطورة» فى التحقق إلا بقدر، و«إن بقى رحيقها الواعد».. ضمن خبرات الشعوب.....! وكان هذا درس «جيفارا» على وجه الخصوص...

ما الذى يدفع إذن صديقنا الدكتور « حمدى عبد الرحمن حسن » ، لأن يتحمس الآن لتقديم دراسة عن زعيم أسطورى، مثل الزعيم الراحل «توماس سنكارا» (١٩٤٩-١٩٨٧) استشهد وهو ملىء بالوعود، وأن تأتى هذه الدراسة الغنية بعد حوالى ربع قرن من اغتياله عقب تبشيره لأفريقيا بالكثير ؟ بل وتأتى الدراسة نفسها عن سنكارا بعد جولات « حمدى عبد الرحمن » من الدراسات متعددة الأبعاد عن عالم السياسة الأفريقية الواقعية لا المثالية .

لم يبق «سنكارا » إلا مدة وجيزة على رأس الحكم فى بوركينا فاسو (١٩٨٣/ ١٩٨٧)

الدولة الحبيسة فى غرب أفريقيا غير ذات النجومية اللامعة على مستوى القارة. ولكن حين يأتيها ذلك الفتى ذو الأربعة والثلاثين ربيعاً فإنه يفجر فيها اندفاعاته الكاريزمية بكل عناصر «الأسطورية» عبر ما حمله لشعبه من وعود.. حتى أنه لم يعجبه الاسم الجغرافى لبلاده «فولتا العليا» «فيحوله بحق إلى «أرض الأكرمين» «بوركينا فاسو» وليظل البوركينابى حاملا ذكرى توماس سنكارا «حتى تظل مرة أخرى برحيقها تحت الأضواء الأفريقية بانتفاضة واجادوجو فى نوفمبر ٢٠١٤ فيما سمى بالربيع الأفريقى..

حين تسلمت نص «حمدى عبد الرحمن» عن «جيفارا أفريقيا»... فهمت مقصده من اختيار «جيفارا» كناية عن «توماس سنكارا»، فهو لم يشأ أن يربطه باسم «فانون» لكثرة ما اقترن كلاهما بهموم الفلاحين، ولم يقل أنه «كابرال» لما جسده من معنى ردده «توماس» عن انتحار البرجوازية الصغيرة تجاوزا لدورها المحدود، ولكن «حمدى عبد الرحمن» أصاب مقصده عندما ربط «سنكارا» بجيفارا. وتعددت أسبابه بالطبع؛ ليس أولها فقط «الأسطورية» الثورية التى سرعان ما خبت، وهو فى قمة عطائه.. ولا لأنه استضاف قبل اغتياله بأسبوع واحد، أخو تشى جيفارا، وحمَّل الاحتفال به فى واجادوجو أبعد معانى التذكر الراقى والأمل المشحون بالعطاء والفداء المماثل. هذا فضلاً عن معنى الغدر فى مقتل جيفارا بين ناسه ، ومقتل «سنكارا» بيد زملائه الذين قرروا سرعة التخلص منه بالغدر الدامى، فقطعوا بين الحلم والواقع..

«جيفارا» والبؤرة الثورية- «الفوكو»

كان «جيفارا» رمزاً لشعار «البؤرة الثورية»- «الفوكو»- الحلم الأسطورى الذى رأى فيه جيفارا أن «الحرب الثورية لا يمكن أن تهزم»..... وهو اعتقاد رومانسى بالطبع سبقته خسائره، ومع ذلك صمم أصحابه، أمثال «دوبرييه» الفرنسى وبعض الكوبيين- على عدم ضرورة انتظار نضج الظرف الذاتى أو الموضوعى، ما دام يمكن إعداد الثوار المناسبين ،«فالتعبئة عبر الكفاح المسلح (قل الشعبوى عند توماس) يمكن أن تسبق التعبئة السياسية!

ويبدو أن ذلك كان جوهر صعود وانتحار«توماس سنكارا» نفسه مثلما انتحر

جيفارا...! وبقى صراع الكاريزمى أو الأيديولوجى أو الثورى مع الواقع ، دائم الحضور مقابل التنظيم الضرورى «للعمل السياسى» والتعبئة السياسية الشعبية «الحقيقية» ولا أقصد هنا ما يتردد عن ميل الثورى أحياناً إلى البراجماتية الفجة لتحقيق هدفه القصير ، وإذ به يفقده . وهو جدل طويل توفر المادة التى يقدمها كتاب «حمدى عبد الرحمن» هنا- الكثير فى هذا الصدد...

ارتبطت نظرية «البؤرة الثورية» أو «الفوكو» الجيفارية على نحو ما بنظرية الانتفاضة العفوية من قبل الفلاحين الثوريين، كما عند «فانون»، أو بالزحف الثورى عند ماوتسى تونج، أو بالحزب القائد عند لينين . وفى كل الحالات تصبح الزعامة الكاريزمية تلقائية بدورها، حيث تنبثق عن الجماعة الثورية حتماً مثل هذه الشخصية، أو تقوم الشخصية بخلق الجماعة المحدودة من حولها.

ولكل فترة من فترات التحولات الكبرى فى أفريقيا طبيعتها مع مثل هذه الشخصيات الكاريزمية.. جاء «سنكارا» فى إحدى حلقاتها المتأخرة .. ففى فترة التحرر الوطنى السياسى عقب الحرب الثانية، مرحلة باندونج إن جاز التعبير، كان المطلب الوطنى جماهيريا مهما كان التشكيل الاجتماعى طبقياً أو تابعاً.... وهنا ظهرت شخصيات عبد الناصر ومحمد الخامس ونكروما وسيكوتورى وموديبوكيتا وبومدين ونيريرى.... وغيرهم.

وظل «المطلب الوطنى» للتخلص من آثار الحالة الكولونيالية، مع ميل لتجذير المطلب الاجتماعى بدرجات مختلفة بين هؤلاء القادة، وبدا تضامن باندونج حامياً لبعضهم أو كاشفاً للتآمر ضد بعضهم الآخر، ولم تبد فى هذه المرحلة إلى حد كبير مشكلة عسكرية عبد الناصر أو بومدين مثلاً ولا حتى من توارثوهم مثل «القذافى» و«سياد برى» والنميرى، حيث حرص الجميع على الإبقاء على الإيقاع الوطنى وقدر من السؤال الاجتماعى ..وهنا كانت نظرية الحزب الواحد وانطلاقة التحديث التى روجها الغرب والشرق على السواء، خدمة كبيرة لهذه الزعامة الوطنية أو تلك، بل وساعدت نظريات أكثر راديكالية مثل طريق التنمية اللارأسمالية أو التطور اللارأسمالى على مساندة هذه النظم الوطنية. وبالغ البعض

فى المساندة فيما أطلقوه عن «الديمقراطيين الثوريين» إشارة إلى الضباط والثوريين الطليعيين. وكان المعسكر السوفيتى بل وفى تنافسه مع الصين يقدم من الخدمات ما وفر الحماية لبعض الوقت لهذه النظم، ومن ثم كان نموذج «الوطنى التقدمى»، وليس «البؤرة الثورية» هو المثال السائد من حول جيفارا...، وبعد تنحى الكثير من «النظم الوطنية» نفسها أواخر الستينيات، أفرزت مقاومة «الحالة الكولونيالية» جيلاً جديداً من كاريزمات الكفاح المسلح، ممن ربطوا إلى حد كبير بين التحرر الشامل من الاستعمار شبه الاستيطانى (غينيا بيساو- أنجولا- موزمبيق) أو الاستيطانى العنصرى مثل جنوب أفريقيا وحتى فلسطين...، وبين تنظير وطنى للتغيير السياسى أو الاجتماعى معاً، تعميقاً لفكرة البؤرة الثورية المتعجلة... وترسخ ذلك عند أميلكار كابرال (غنيا بيساو)، وأوغسطينو نيتو (أنجولا) وإدوارد موندلانى (موزمبيق) وأوليفر تامبو أو مانديلا فى جنوب أفريقيا... بل إن درس جيفارا الذى دفع بالثوريين فى بعض أنحاء أمريكا الجنوبية لم يرتضيه كثيرا اصحاب طريق البوليفارية الوطنى، وحركة التسييس الشعبى ،على نحو ما تمثل بعد ذلك فى البرازيل وعلى الأخص فى فنزويلا.... الخ.

أصبحت الماركسية اللينينية والماوية والفانونية شائعة بين قيادات وكوادر هذه الحركات الثورية الجديدة، وتماسكت نظرية «التنظيم الواحد» باعتباره هنا تنظيماً «مقاتلاً» يقبل التعدد عند الضرورة بديلاً لهشاشة «الحزب الواحد» المترهل والمسيطر من قبل، وأدخل كابرال البعد الثقافى، وأنكرت ثورة موزمبيق نظرية البرجوازية الصغيرة وكان «نيتو»، الشاعر يضرب المثال عن مفهوم التشكيلات الطبقية والتوازن الدولى بين السوفيت والصين فى نفس الوقت...

وهنا أصبحت «الجيفارية» موضع مراجعة مع رحيل «الأسطورة» و أصبح ما تردد من أفكار «ثورية» فى هذه الفترة أقرب للديمقراطية الاجتماعية والقبول بتيارات متنوعة للماركسية فى أمريكا الجنوبية وأوروبا الغربية على السواء ولا شك أن ذلك وضع فكر جيفارا تحت مناظير عديدة.

وفى هذا الإطار أصبح التثقيف السياسى، والفكر الاجتماعى الجديد، والرغبة

فى بناء تنظيمات سياسية متعددة الأصوات هى الأكثر بروزاً بين الصفوف من فكرة البؤرة الثورية الجيفارية... ومن هنا بدا «سنكارا» بعد ذلك بين أهله ... غريبًا...

«سنكارا» بين الكاريزمات الجديدة

كانت المرحلة الكولونيالية قد انتهت مع منتصف السبعينيات تقريباً، بوصول تجارب الكفاح المسلح إلى الاستقلال (بيساو- أنجولا- موزمبيق) وعادت ملامح الحرب الباردة تشير إلى الانتقال «لمرحلة إمبريالية» جديدة تستهدف سيطرة الدول الرأسمالية الكبرى على فضاءات الشرق الأوسط بعد كامب ديفيد، والتمهيد للحل المساوم فى الجنوب الأفريقى، للسيطرة على البترول ومناجم المعادن الإستراتيجية الأخرى... ومع الأزمة الاقتصادية الحادة منذ أوائل الثمانينيات بدا أنه لابد من فرض تكيف هيكلى جديد بتأكيد نفوذ صندوق النقد الدولى والبنك الدولى على صياغة الاقتصاد «العالمى» فيما عرف «بروشتة الصندوق»، بل وصياغة السياسات والزعامات التى تنفذها!

ولأن لكل ظاهرة نقيضها بالضرورة، فقد بدأت مناطق معينة تكشف أيضاً عن عناصر مقاومة، سواء بالاستجابة للطرف الآخر من الحرب الباردة (وقوف السوفيت وراء الكوبيين فى أكثر من منطقة شرقى وجنوبى أفريقيا) أو بالانطلاق كزعامات راديكالية تجرب المواجهة المباشرة.

وهنا بدت كاريزمات جديدة طوال الثمانينيات تبرز على الساحة فى أنحاء القارة ممتدة من ليبيا (القذافى)، إلى غانا (رولنجز) لإثيوبيا (منجستو) لمدغشقر (تسيرانانا) وبين هؤلاء لمع اسم توماس سنكارا (٨٣/ ١٩٨٧) فيماً أسماه مفكر غانى مثل «إيبوهوتشفول» بالعسكريين الشعبيين فى دراسة هامة له: «العناصر الجديدة فى العسكرتارية الأفريقية» (١٩٨٦). معتبراً إن هذه القيادات قد نقلت مكانة العسكريين سيئى السمعة فى أفريقيا من مقولات التصحيحية والانتقالية التى سادت الستينيات والسبعينيات فى براجماتية تسلطية صارخة وحسب، إلى فضاء الأيديولوجيا والتسييس فى عدد من حالات الانقلابات الجديدة... أسماها «هوتشفول» بدورها «النظم العسكرية الشعبية التقدمية» التى شهدت تحقيق

قطاعاً مستقلاً ينظر للسياسة والديمقراطية كعنصر معوق»....

وتلخص مقارنة «هوتشفول» فى دراسته بين حالات إثيوبيا وغانا وبوركينا فاسو، نموذجاً لرؤيته بالتالى عن حالة «توماس سنكارا» فيما يتطلب متابعة ذلك فى الدراسة المدققة التي يقدمها «حمدى عبد الرحمن» هنا تفصيلاً، بينما نود فقط أن نشير إلى منطلقنا فى حدود هذا التقديم بشأن نموذج «سنكارا» الذى انتهى باغتياله... دون تفاصيل النماذج الأخرى. ويكفى أن نذكر بين نماذج «العسكريين الثوريين» من وضع حياته بسرعة على كفه اندفاعاً مثل «مرتضى محمد» فى نيجيريا (٧٥/ ١٩٧٦) وبين من ظلوا على صدور شعوبهم ببلاده وادعاءات سياسية ساذجة مثل «موبوتو» ١٩٦١/ ١٩٩٤!

هناك تصور سائد فى الإعلام البرجوازى الغربى عن فترة وزعامات الثمانينيات، وبعض التسعينيات، تكتفى بتصوير عائد السياسات الإمبريالية التى صاحبت فلسفة السوق الحرة والتكيف الهيكلى، وتفكيك تجارب الشعوب التنموية الوطنية، باعتبار هذا «الاقتصاد الانقلابى» هو قاعدة السياسات الديمقراطية (التعددية) وبداية بروز دور جماعات المجتمع المدنى، وحرية التبادل وانفتاح العالم المغلق (الثالث) على العالم الحر وسوقه العالمية...!

هذا التصور الذى ساد كثيراً من التحليلات الجديدة باسم الليبرالية، هو الذى رفض الإشارة أو توفير الدراسات عن تجارب، قدمت الكثير من الإنجاز الاقتصادى الاجتماعى لشعوبها، فى وقت قصير ، وفى مقدمتهم «توماس سنكارا» . ورغم ما تردد كثيرا عن أخطاء «الكاريزميين»... ولكنهم كادوا يتصدون بحق للهيمنات الطبقية والإمبريالية على السواء، حتى اضطر أعداؤهم إلى اللجوء للاغتيال الوقح إن جاز التعبير (قتل مرتضى محمد فى إشارة مرور، وسنكارا فى مكتبه بيد بعض قادة التجربة نفسها !!).

في مواجهة الواقع

سوف يجد القارئ كثيراً من التفاصيل عن واقع «بوركينا فاسو» فى عهد

«توماس سنكارا» فى الكتاب الذى نحن بصدده . ولكنى سأواصل قليلاً هنا، عما يتوجب على شباب الباحثين متابعته بشأن النقطة السابقة . وأضيف - حيث أننا إزاء سنكارا الآن- أن هؤلاء القادة الشبان الذين تصدوا للمخططات الإمبريالية، لم يكونوا مجرد «أطفال متمردين» كما أشار ميتران إلى «سنكارا» بعد هجوم الأخير على السياسة الفرنسية أثناء زيارة الرئيس الفرنسى لواجادوجو.. (١٩٨٧)، وإنما كان سنكارا ابن تجربة سياسية، وعلى اتصال بالتجارب السياسية الأخرى من «رولنجز» غانا إلى ماثيو كيريكو بنين إلى كوبا والصين وكوريا الشمالية فضلاً عن تجربته الطويلة داخل تطورات التجربة الملجاشية.. (تعدد الانقلابات من ١٩٧٢ حتى حسمها الماركسيون ١٩٧٥)، ومع كل ذلك كانت تجربته داخل بوركينا فاسو مع الحركة الشيوعية والديمقراطية والعمالية فى غرب أفريقيا غنية بدورها، كما سنرى بعد قليل.. ومن يواصل الدراسة سيجد مثل هذا التدريب متوفرا أيضًا لدى قيادات أثيوبيا وغانا ومدغشقر من «العسكريين الثوريين»..

وهذه الإشارة هامة فى تقديرى، لأن صورة الثوريين الأفارقة تعرض دائماً بالتشويش الكامل مقابل مزاعم مفكرى التعددية الليبرالية للسوق العالمى الذى قبله بعض الزعماء التقليديين أو الجدد تمهيداً لفرض سياق العولمة الكامل مع بداية التسعينيات، ذلك السياق الذى اقترن بالهيمنة الرأسمالية المتوحشة وليس مجرد الإمبريالية التقليدية وكان لابد من اغتيال صوت مثل « سنكارا » لينتهوا من هذه الموجة الراديكالية التى تشوش على السوق الليبرالى..!

وللقارىء أن يعود إذن إلى كتابات عديدة أخرى لحمدى عبد الرحمن حول ظروف «ظاهرة التحول الديمقراطى فى أفريقيا» ليدرك كيف ابتلعت بعض الشعوب طعم هذه الدعاوى الليبرالية، وكيف قاومتها شعوب أخرى بانتفاضات جذرية أراها تمثل الربيع الأفريقى منذ وقت مبكر من بداية التسعينيات، ويحسب لما عرف «بروح سنكارا» أنها ظلت فى مخيلة الجماهير حتى زحفت على عواصمها فى أنحاء مختلفة من القارة وخاصة فى الغرب منها، ولنتابع هذا المشهد.

ففى أجواء منتصف الثمانينيات حتى أواخرها طرحت محاولات التحدى نفسها

من أجل عمل تنموى مستقل. وبدت النظم «المتكيفة» دوليا فى أفريقيا تعامل الدول الفقيرة المجاورة بقسوة ساندتها المصالح الأجنبية فيها بشكل كبير، ونذكر هنا طرد العمال الأجانب «الغانيين وغيرهم من الأفارقة من نيجيريا، كما حدث هذا لأبناء فولتا العليا (بوركينا فاسو لاحقاً) فى ساحل العاج حيث يذكر سمير أمين مثلاً فى مقالة عن« سنكارا » (٢٠١٢) أن بوركينا فاسو كانت «مستعمرة لمستعمرة» ويقصد هنا ساحل العاج. وكان يمكن حل مشكلة بلد فقير مثل بوركينا فاسو يملك كفاءة عمالية مهاجرة عن طريق أفكار مطروحة عن «وحدة البلدين» لتحل المشكلة الاقتصادية لبوركينا فاسو، «والمشكلة السياسية» فى ساحل العاج!

لذلك ليس صدفة أن يذكر مؤرخ ثقة لنظام « سنكارا » مثل «إليوت سكينر» (سفير أمريكا الأفرو أمريكى فى بوركينا فاسو فى مقال له عن «الكاريزما والسلطة» سنكارا وثورة بوركينابى» كيف تعاونت فرنسا وساحل العاج (هكذا تحدث سفير أمريكا) لإبعاد « سنكارا » من رئاسة الوزارة ١٩٨٢ قبل أن يعيده الشعب بالقوة لرئاسة البلاد فيما اعتبر «انقلاب ١٩٨٣»! بينما هى الثورة التى قادها« سنكارا » وزملاؤه العسكريون! كما أنه ليس صدفة أن يكون «سنكارا» وحدوياً أفريقياً، بشكل آثار القادة النيجيريين والإيفواريين إلى حد تشجيع زملائه فى النهاية على اغتياله.!

المشكلة التى واجهت بوركينا فاسو بزعامتها هذه هو أنها وهى الدولة الداخلية الصغيرة وذات الكثافة السكانية العالية فى نفس الوقت (بين ١٥-١٧ مليون نسمة) وحيث تسيطر طبقة من ٣٪ من السكان على ٦٠٪ من الدخل القومى، لم تكن تملك من الثروات المحفزة على قيام نظام قوى بقدر كاف، ولا هى الجاذبة للاستثمارات ومنافساتها النافعة أحياناً، ولا هى المغرية للأقطاب الدوليين المتنافسين مثل السوفيت والصين وقتها مقابل وضع فرنسا وقيادات الإقليم الرجعية فى ساحل العاج ونيجيريا والسنغال ومالى.

سنكارا وعولمة المواجهة

ورغم كل هذه الظروف حاول «سنكارا » التحرك الإقليمى والدولى، دون عائد

سريع منقذ...ذهب إلى كوريا الشمالية والهند والصين ومدغشقر وليبيا ، وأعلن أنه غير ملتزم بنظرية كارل ماركس أو كاسترو كما لا يلتزم برؤى مفكرى الرأسماليين العتاه، وهو ما بدا ترضية لبعض الأطراف الخارجية إلا أن سمير أمين الذى عرفه شخصياً نظر إليه باعتباره «ماركسياً أمميا، نسوياً يهتم بالتنمية الاقتصادية الاجتماعية وبالمشروعات الصغيرة والمحلية...» الخ (فى كتاب تكريمى: سنكارا شهيد الحرية سنة ٢٠١٢).

وكأنما ينبهنا سمير أمين هنا إلى اختلاف مثل هذا النمط عن نموذج القذافى الذى ادعى الأممية دون أى منتج اجتماعى سياسى . كان كل ذلك محاولات من « سنكارا» لإخراج بلاده من محبسها فى غرب القارة، الملغومة بالمشروعات الرأسمالية العالمية خاصة مع بروز أهمية مشروعات الغرب المبكرة فى الصحراء الكبرى وإعدادها لاستثمار الثروة المعدنية البديلة لبترول الشرق!

وقد ذهب « سنكارا » بعيدا فى محاولات المقاومة المتسارعة للنفوذ العالمى للرأسمالية المتوحشة، وذلك بحملته الدولية على الديون باعتبارها ميراثاً استعمارياً، وحاول تعبئة رموز العالم الثالث لحملة دولية لهذا الغرض جعلته يهاجم الولايات المتحدة فى عقر دارها بحديثه عن «هارلم» باعتبارها البيت الأبيض للأفارقة، كما هاجم الرؤساء الأفارقة فى عقر دارهم أيضا فى منظمة الوحدة الأفريقية بأديس أبابا باعتبار أنه لا يجدى أن يكون وحده فى رفض الديون، وأنه يلمح لتصدير الثورة إن لم يتوافقوا معه لمواجهة المديونية الإمبريالية، وإلا فإنهم لن يجدوه بينهم فى العام التالى، إشارة إلى تهديدهم أيضاً بنفس المصير! (ولكنه ذهب وحده بعد عدة شهور وبقوا هم على قلوب شعوبهم لعدة عقود)!

لم يتردد «سنكارا » فى دخول المعارك الدولية كالديون، كما دخل المعركة القارية ضد النظام العنصرى فى جنوب أفريقيا، فى وقت كان جيرانه فى ساحل العاج والسنغال يقودون حملة «الوفاق» والمصالحة مع نظام الأبارتهيد، وترتيب اتفاقية «لوفاقه» مع ثورة موزمبيق (كوماتى) بينما يقود هو التعاون مع كوبا فى دعم أنجولا ضد الثورة المضادة فى المنطقة.

كان صعباً أن يحقق «توماس سنكارا» كل أحلامه فى هذا الزمن القصير، خاصة وأنها أحلام أكبر من «الوطنية» وليست جزءًا مباشراً من مصالح كبرى، استعمارية أو معادية للاستعمار. كما شرحنا فقد تحدثنا عن هشاشة علاقاته الإقليمية أو الدولية رغم طموحه الجارف بصوت ارتفع كثيراً، وفى ظروف بناء العولمة المهيمنة ،وتركز اهتمام أمريكا على الكتل الإقليمية لا الدول الصغيرة ، تساءل السفير الأفروأمريكى «سكينر»: كان الخيار صعباً بين البطولة واللحظة فى بلد صغير، صعب فيه إدراك التغير فى العالم«... لذلك لم يتحرج ذلك السفير من معاونة «سنكارا» فى «بناء معهد دراسات عالم السود» كما لم يتحرج من القول أن فرنسا وساحل العاج هما اللذان قتلا الرجل»!

عناصر الصراع الداخلي

لم تكن الأوضاع الداخلية فى بوركينا فاسو، بدورها- تساعد الرجل على خوض المعارك الكبرى التى قرر خوضها، ورغم ثقافته السياسية، فإنه لم يدرك جيداً ضرورة فهم الفارق بين شعارات «المشاركة السياسية» وآليات السلطة الديمقراطية السياسية.... ولم يدرس جيداً حتى تجربة «رولنجز» فى غانا أو «منسجتو» فى إثيوبيا- فالأول ساعدته القاعدة الوطنية النكرومية السابقة والتحالفات القريبة منها، والثانى ساعدته مدركاته الاجتماعية ومشاريعه لمساكن الفقراء وتوزيع الأراضى الإقطاعية.

فى إطار ارتباك هذين البعدين، يبدو أن « سنكارا » قد أغراه نمط اللجان الجماهيرية الليبية فى تصور للمشاركة السياسية الواسعة (شكل عشرة آلاف لجنة شعبية بقيادات عسكرية ثورية!). ورفض فكرة الحزب السياسى، معتمداً على بعض ولاءات سياسية منفرطة من أحزاب اليسار واتحادات العمال والطلبة.. وذلك فى بداية الثورة، ولكن سرعان ما اصطدم بها جميعاً فواجه مظاهرات الطلاب، واعتصامات العمال، وعزوف الشيوعيين عن التعامل معه (حتى إنه طلب من سمير أمين التدخل لدى الأحزاب اليسارية للالتفاف حوله) وذلك لشيوع ما ردده الشيوعيون خاصة «أن الثورة لا ينجزها العسكريون »مهما كانوا ثوريين!»...

اعتمد «سنكارا» على قطاع المرأة والفلاحين، والبرجوازية الصغيرة فى الجهاز الإدارى، فاستثار الكثيرين من رجال أعمال ومزارعين كبار وقوى البيروقراطية حين فرض على الرجال الخدمة المنزلية مع النساء. وقرر أن يلبس الجميع الأزياء القطنية تشجيعاً للصناعة المحلية، ووضع البيروقراطية فى مواجهة السياسيين بحجة دفع البرجوازية الصغيرة إلى الدور التاريخى بالانتحار توجها إلى الريف لا زيف الحضر...! وهنا قيل الكثير عن دور الفلاحين السلبى- وهو نصيرهم الأساسى- فى خضوعهم للسلطة القبلية المحلية و مشيخة قبائل «الموسى» بزعامة إمبراطورهم موجو نابا.

ظلت قاعدة الجيش إذن سند «سنكارا» الرئيسى، مسيطراً على السلطة، وعلى اللجان الشعبية، ومتحالفاً مع البيروقراطية ضد السياسيين الثوريين أنفسهم، وكانت شخصية «سنكارا» الكاريزمية ذات نفوذ عال على جماهير واسعة رغم كل العناصر السلبية القائمة فى السلطة.

ويبدو أن هذه الكاريزما هى أيضاً التى أثارت قطاعات العسكريين العليا ممن أفسدوا النظام باستغلال مصادر السلطة والثروة فيه، مما جعل زميلاً له، بل وكان يبدو معلمه «بليز كومباورى» وبعض زملائه من رابطة الضباط الشيوعيين سابقاً، هم الذين يستثيرهم خطابه الجماهيرى الكاسح ، وهم الذين قرروا التخلص منه بقتله فى مكتبه فى منتصف أكتوبر ١٩٨٧. ورغم علمه بخبر هذا التحرك ضده، فإنه لم يصدق، لكنهم سرعان ما برروا فعلتهم متهمين إياه: بخيانة الثورة، والأوتوقراطية وإثارة الفوضى، وإشاعة وهم قيادة الثورة العالمية»...! تلك الاتهامات التى مهدت لقلة ممن أعدتهم فرنسا، والأعداء الإقليميين ليحكموا بقيادة «كومباورى» زميل «سنكارا» للبلاد لربع قرن، ولتتحول بوركينا فاسو من مصدر لصوت الثورة العالمية («الفوكو«الجيفارية» إلى بؤرة لتجارة السلاح والماس وغسيل الأموال.

إعادة اكتشاف سنكارا

لم يمض اغتيال« سنكارا» عام ١٩٨٧ عبثاً، لأن الانتفاضات الشعبية الأفريقية بين ٨٩/ ١٩٩١ لم تتوقف فيما سمى بمحاولات التحول الديمقراطى الشعبى عبر تشكيلات مؤتمرات السيادة الشعبية... وإن لم يكتب لها أن تحدث التحول المنشود ،

لكن وبعد مرور ربع قرن تقريباً على اغتيال «توماس سنكارا» تقوم الانتفاضة الشعبية فى بوركينا فاسو (نوفمبر ٢٠١٤) بتطهير «أرض الكرام» أو المكرمين من «الخونة... والأوتوقراطية الحقيقية، وتنطلق أكثر من ست تنظيمات «للسنكاروية» مع عشرات من الأحزاب الديمقراطية والليبرالية لبناء الثورة مجدداً، وعلى أسس جديدة ما زال يجرى صياغة دستورها حتى كتابة هذه السطور . ويأمل الثوار الجدد أن يحمل وجهاً جديداً يليق باستمرارية «السنكاروية» «ممقرطة وشعبية» حقيقة هذه المرة، وهذا ما طرحته باسم «سنكارا» محاولات شبابية فى الدياسبورا وجنوب أفريقيا وغيرها ، مما يضعه البعض تحت عنوان..«إعادة اكتشاف سنكارا »

لقد انطلقت «الحملة الدولية للعدالة من أجل «سنكارا» منذ عام ٢٠١٢ تضم أصدقاء «سنكارا » للتحقيق فى اغتياله بطريقة غامضة، ولكن الأساس هو إعادة تقديم سنكارا وثورته وأخلاقياته وحقيقة نضاله مع شعبه، ودعم حركات الشباب فى العالم التى عادت تذكر جيفارا وسنكارا معاً ، بشكل ملفت فى السنوات الأخيرة ، وهذا ما حمله عنوان هام أصدره هؤلاء الأصدقاء بالفرنسية باسم «إعادة اكتشاف سنكارا... شهيد الحرية» فى ذكراه بعد ربع قرن حيث صدر فى داكار ٢٠١٢ من تحرير «ندونجو سامبا سيللا» مستكتباً عشرات الأصدقاء من كبار المفكرين العالميين.

ولم تمض الشهور طوالاً على محاولة إعادة اكتشاف «سنكارا» من قبل الأصدقاء حتى اكتشف شعبه أنه الأولى باكتشافه، فانتفض (فى نوفمبر ٢٠١٤ ضد محاولات كومباورى» الاستمرار فى حكمه الفاسد للبلاد. وليثبت شعب بوركينا فاسو أنه لم ينس أن ثمة زعيم مثل «توماس سنكارا» حاول مع هذا الشعب أن يخلق «بؤرة ثورية» فى أفريقيا على نمط محاولة «جيفارا» فى أمريكا الجنوبية.. وإن كان الزعيمان لم يوفقا فى تحويل البؤرة إلى ساحة نضالية عريضة، فإن الزخم المعنوى والأخلاقى للثورة فى أمريكا الجنوبية، قد أثبت قدرته على البقاء، وما زالت أفريقيا تحاول الإجابة عما إذا كان جيفارا أمكن حضوره بنفس القوة على أرض القارة المناضلة؟ ولو باسم سنكارا؟ هذا ما حاول «حمدى عبد الرحمن إثباته» .

القاهرة ١٠ أغسطس ٢٠١٥

المقدمة

د. حمدي عبد الرحمن

لا شك أن التغيير هو سنة كونية، بل حياة الإنسان نفسه من المهد إلى اللحد تُجسد هذا التغيير. ومع ذلك فإن التمسك بالموروث والخوف من الفشل وغياب روح الاجتهاد والطموح تمثل جميعها عوائق أمام عجلة التغيير. والمُلاحِظ للتغيرات الكبرى التي غيرت العديد من المجتمعات، بل والعالم بأسره، يجد أنها بدأت بأحلام امتلك أصحابها شجاعة البوح بها والعمل من أجل تحقيقها. ربما ينظر الناس إلى هذا الحالم بأنه غير واقعي أو مجنون. ألم يزعم كفار مكة أن محمداً -صلى الله عليه وسلم- قد اختلق القرآن وأن به جنوناً لا يدري ما يقول؟.

وإذا انتقلنا من عالم الوحي إلى عالم الشهادة وعمارة الأرض لوجدنا أن تغيير الواقع بكل تعقيداته قد يكون وجهاً من أوجه الجنون والتمرد. وهنا تأتي أهمية دراسة تجربة أكبر ثورة حقيقية شهدتها منطقة غرب أفريقيا في منتصف ثمانينيات القرن الماضي. لقد قاد هذه الثورة زعيم شاب يؤمن بأهمية تحرر وانعتاق الشعوب من أجل تحقيق النهضة. إنه توماس سانكارا رئيس دولة بوركينا فاسو خلال الفترة من ١٩٨٣-١٩٨٧.

لقد آمن سانكارا أن قهر الخوف والتحرر منه هو عماد التغيير. يقول في خطبة له في العاصمة واغادوغو من أجل تكريم المناضل أرنستو تشي جيفارا: «ربما يُقتل الثوار لكن أفكارهم لا تموت». كان عليه أن يدير ظهره إلى الصيغ القديمة والموروثة في بلاده من أجل أن يحقق التغيير الجوهري الذي يصبو إليه ، ومن أجل أن يبتكر المستقبل الذي يطمح إليه. ففي مقابلة أجريت معه عام ١٩٨٥ قال توماس سانكارا «لا يمكن تنفيذ أي تغيير جوهري دون وجود قدر معين من

الجنون. ففي هذه الحالة لابد من شجاعة التمرد على الصيغ الموروثة، شجاعة ابتكار المستقبل. ألم يكن مجانين الأمس هم أصحاب الفضل في أننا نعمل بوضوح ورؤية تامة اليوم. إنني أريد أن أكون واحداً من هؤلاء المجانين»[1].

لا تزال أفريقيا تعاني من سيادة وهيمنة الصيغ القديمة ولا أحد يفكر في حلول بديلة أو في ابتكار المستقبل الذي كان يطمح إليه توماس سانكارا. يقول موليتسي مبيكي عالم الاقتصاد السياسي الجنوب أفريقي: إن أزمة أفريقيا المستعصية ترجع إلى عاملين أساسيين يساعدان على الفهم والتفسير، أولهما يتمثل في سوء إدارة النخب الوطنية الأفريقية الحاكمة للفائض الاقتصادي في مجتمعاتها طوال عقود ما بعد الاستقلال، والثاني يتمثل في عمليات السلب والنهب التي تقوم بها القوى الدولية لموارد أفريقيا وثرواتها الطبيعية.

ولا شك أن اشتداد محنة أفريقيا وتحولات التكالب الدولي الجديد لاستغلال مواردها الطبيعية تجعل توماس سانكارا ملهماً للجميع بغض النظر عن انتماءاتهم السياسية. ففي أثناء ما عُرف بثورة الخبز التي اجتاحت العديد من بلدان غرب أفريقيا عام ٢٠٠٨ قام مغني الراب السنغالي ديديه عوض بإصدار أغنية حماسية تؤكد كلماتها على أن سبب الجوع هو الفجوة الكبيرة بين الأغنياء والفقراء. واللافت هنا أن الصور التسجيلية المصاحبة للأغنية كانت جميعها تشير إلى اقتباسات من أقوال توماس سانكارا، ولا سيما تلك التي ترفع شعار «دعونا نبتكر مستقبلنا».

ويسعى هذا الكتاب إلى البحث في أسباب استمرار الموروث الفكري والثقافي لتوماس سانكارا؟. لماذا لا يزال الشباب والحالمون بالتغيير في بوركينا فاسو وغيرها من أنحاء أفريقيا يتبنون أفكاره ويطالبون بتطبيقها؟. ربما يقول قائل أن السبب هو استمرار سياسات الفشل وعدم تحقيق إنجازات ملموسة يشعر بها

(1)Thomas Sankara Speaks, The Burkina Faso Revolution 1983-87, Pathfinder 1988, p. 144.

المواطن العادي. فأوضاع الفقر والجوع وانتشار الفساد والبطالة لم تتغير؛ و«كأنك يا أبوزيد ما غزيت»! إشارة إلى عدم جدوى تحقيق المملكة السياسية التي طالب بها كوامي نكروما في خمسينيات القرن الماضي. أضف إلى ذلك فإن التحولات الديموقراطية وإجراءات الانتخابات التعددية التي شهدتها العديد من البلدان الأفريقية لم تُفلح في تحقيق أي تغيير حقيقي. لا تزال النخب الأفريقية الحاكمة تدير ظهورها لمطالب وطموحات الجماهير العريضة في نفس الوقت الذي تُولي فيه وجوهها شطر العواصم الغربية طلباً للمودة والرضا. وعليه فقد أضحى توماس سانكارا رمزاً للتغيير، فالشباب الذي يتغنى بكلماته أو يلبس «تي شيرت» يحمل صورته إنما يعبر بصورة رمزية عن حالة التحدي والاغتراب التي يعاني منها.

في الرابع من أكتوبر عام ١٩٨٤ وقف توماس سانكارا أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة مخاطباً العالم بقوله: « إنني أتحدث نيابة عن ملايين البشر الذين يعيشون في معازل إما بسبب لون بشرتهم الأسود أو لأنهم جاءوا من ثقافات مختلفة، وهم يعيشون بالكاد في وضع أقرب إلى الحيوان. إنني أعاني نيابة عن الهنود الذين تم ذبحهم وسحقهم وإذلالهم ومحاصرتهم لقرون عدة بهدف منعهم من المطالبة بحقوقهم أو الاندماج مع ثقافات أخرى بما في ذلك ثقافة الغزاة أنفسهم»[1]. وقد أكد سانكارا في هذا الخطاب الأشهر على مفاهيم التضامن العالمي والدروس المستفادة من الثورات الأخرى وأهمية التحرر والاعتماد على الذات. يقول في ذلك:« إن ثورتنا في بوركينا فاسو تُعبر عن آلام ومصائب جميع الشعوب. كما أنها تستلهم الخبرات السابقة منذ بدء الخليقة. إننا نود أن نكون ورثة جميع الثورات العالمية والنضالات من أجل التحرر في بلدان العالم الثالث... إننا نستخلص الدروس من الثورة الأمريكية ولاسيما انتصارها على السيطرة الاستعمارية، والنتائج المترتبة على ذلك. نحن نتبنى مبدأ عدم التدخل فلا يجوز

(1)Thomas Sankara, We Are Heirs of the World's Revolutions, Pathfinder, 2007. P.67.

للأوروبيين أن يتدخلوا في شئون الأمريكيين، كما لا يجوز للأمريكيين التدخل في شئون الأوروبيين. تماماً مثلما أعلن مونرو في عام ١٨٢٣[١]: أن أمريكا للأمريكيين فإننا نُعلن اليوم أن أفريقيا للأفارقة، وأن بوركينا للبوركينابيين».

ولعل الافتراض الأساسي الذي ينطلق منه هذا الكتاب يتمثل في القول بأن الثورات التي شهدتها بعض البلدان المستقلة لا تمثل خروجاً على شرعية الحكم السائد بعد رحيل الاستعمار وإنما يُنظر إليها باعتبارها بدائل مختلفة لتحقيق تطلعات الجماهير من أجل النهضة والتقدم. نحن إذن أمام حالة غير تقليدية للحكم في ظل قيادة واعية تمتلك في الأغلب سمات كارزمية. تلك الرؤى التنموية البديلة تطرح حلولاً وطنية غير مفروضة من الخارج.

لقد اعتقد سانكارا أن الشرعية الحقيقية تتمثل في الانتماء للجماهير وليس لأي قوة خارجية دولية كانت (مثل فرنسا) أو إقليمية (مثل ساحل العاج) أو حتى القوى السياسية المحلية التي تسير في فلك الخارج. واستنادا إلى ذلك كله فإن هذا الكتاب ينطلق من حقيقة كونه دراسة في الفكر السياسي الأفريقي الحديث، وعليه فقد تم تخصيص القسم الأول منه ليناقش من خلال رؤية شاملة طبيعة وخصائص الفكر السياسي الأفريقي وأهم قضاياه وكيفية تحليل البعد السياقي لخطاباته السياسية المعبرة عنه. وإلى جانب ذلك تم تخصيص الجزءين الثاني والثالث من الكتاب لمناقشة تجربة الثورة البوركينابية في عهد سانكارا، حيث يناقش القسم الثاني سياق وأفكار السنكارية السياسية من خلال محورين أساسيين : يناقش أولهما عوامل ومحددات التجربة الثورية في بوركينا فاسو مثل التطورات السياسية التي أدت إلى الاستقلال عن فرنسا، وكذلك العوامل الاجتماعية والاثنية التي وقفت وراء الانقسام المجتمعي والصراع على السلطة. أضف إلى ذلك عوامل

(١) أعلن الرئيس جيمس مونرو خلال خطابه السنوي أمام الكونغرس مبادرة جديدة للسياسة الخارجية الأمريكية الجديدة، وهي المبادرة التي أضحت معروفة باسم «مبدأ مونرو». وطبقا لهذا المبدأ لا يجوز التدخل الأوروبي في الشئون الأمريكية،كما تلتزم الولايات المتحدة بموقف الحياد تجاه الصراعات الأوروبية في المستقبل.

النشأة والتكوين الفكري لقائد الثورة توماس سانكارا. أما المحور الثاني فإنه يُعني بتحليل وشرح أهم الملامح الفكرية والثورية عند توماس سانكارا مثل قضايا بناء الدولة والتحولات الاقتصادية والاجتماعية وأهمية الحشد الجماهيري ودور المرأة في تحقيق التنمية وهي أمور تفترض ضرورة إعادة هيكلة السلطة.

ويناقش القسم الثالث السنكارية في عالم الممارسة من خلال توضيح أبعاد نموذج التنمية المستقلة وسياساته الخارجية غير المنحازة، مع طرح ما بقي من ميراث الثورة البوركينابية والدروس المستفادة أفريقياً ولاسيما ضرورة ابتكار المستقبل، وهو الشعار الذي رفعه وناضل من أجله توماس سانكارا. وبالإضافة إلى الخاتمة التي أثارت نماذج من الإبداعات الأفريقية في التحول الديموقراطي ودور السنكارية السياسية في الإلهام الثوري وابتكار المستقبل الأفريقي تمت إضافة قسم للملاحق. فقد قام الباحث بترجمة بعض النصوص المهمة التي تعبرعن الفكر السياسي لتوماس سانكارا والتي وردت في بعض خطاباته الشهيرة داخل بوركينا فاسو وخارجها.

ولاشك أن الصعوبة الكبرى التي تواجه الباحث تتمثل في حاجز اللغة وضعف الروابط التي جمعت بوركينا فاسو بعالم الأنجلوفونية نظرا لعلاقتها الوثيقة بالرابطة الفرنكفونية. وعليه فإننا سوف نعتمد على الخطب والوثائق التي تمت ترجمتها إلى اللغة الانجليزية، بالإضافة إلى بعض الأدبيات والأعمال البحثية التي تعاملت مع الفترة من ١٩٦٠ إلى ١٩٨٧ من تاريخ بوركينا فاسو.

ويطرح براين ويليامسون Bryan J. Williamson ثلاثة أنماط من الدراسات العلمية تعاملت مع التحولات الثورية في بوركينا فاسو[1]. يميل النمط الأول منها إلى التوكيد على أن الثورة في بوركينا فاسو كانت تعبيراً عن فشل النظام القديم في

(1)Williamson, Bryan J. From Upper Volta to Burkina Faso A Study of the Politics of Reaction and Reform in a Post-Colonial African Nation-State, 1960-1987. (M.L.A.)--University of South Florida, 2013.

تحقيق التنمية أو استيعاب جيل الشباب الذي كان مفعماً بالأفكار اليسارية المعادية للغرب عموماً. أما النمط الثاني فإنه يميل إلى وضع أفكار توماس سانكارا في وضع وسياق عولمي، ولعل إصدار كتابه توماس سانكارا يتحدث والذي صدر عام ١٩٨٨ يعبرعن هذا المنحنى الفكري. يقول السفير الأمريكي الأسبق في بوركينا فاسو إليوت سكنر Elliot Skinner: «إن دلالة ثورة سانكارا هي أنها أظهرت وجود جيل جديد سئم من طريقة تعامل الساسة والزعماء التقليديين مع الشئون المحلية والعالمية. إنهم يريدون رسم مسار جديد قريب من واقع السلطة على المستويات الوطنية والإقليمية والعالمية»[1]. أما النمط الثالث والأخير من الدراسات فقد ظهر بعد عام ٢٠٠٠ وهو يؤكد في معظمه على تفرد تجربة بوركينا فاسو في ظل حكم توماس سانكارا نظراً لأنه ربط الشعارات الثورية بالأفعال، وهو ما أدى إلى إحداث تحولات حقيقية في المجتمع. إن العالم الذي يحلم به سانكارا ليس من صنع التكنوقراط أو الممولين الرأسماليين أو السياسيين المتمسكين بأهداب السلطة، ولكنه عالم تصنعه جماهير الفلاحين العاملة والتي تمثل المصدر الحقيقي لكل ثروة يمكن تقاسمها.

إن مما لاشك فيه أن ميراث توماس سانكارا الفكري والأيدولوجي باق ولن يندثر أو يموت نظرا لارتباطه الشديد بالواقع الأفريقي المعاصر. أليست عوائق النهوض الأفريقي كما هي وإن اختلفت صورها وسماتها؟. انظر على سبيل المثال إلى قضايا الاستعمار الجديد والهيمنة الاقتصادية على الموارد الأفريقية وشيوع أوضاع الفساد والفقر والصراع لا تزال جميعها تواجه طريق النهضة منذ اغتيال سانكارا على أيدي قوى الغدر الآثمة. لقد كانت هذه القضايا مهيمنة على المجتمعات الأفريقية أثناء حكم سانكارا ولاتزال باقية حتى اليوم. وعليه فإننا

(1)Skinner, Elliott Percival. 1988. «Sankara and the Burkinabe Revolution: Charisma and Power, Local and External Dimensions». The Journal of Modern African Studies: a Quarterly Survey of Politics, Economics and Related Topics in Contemporary Africa. 26, no. 3: 437-455.

لازلنا بحاجة إلى هذا الزعيم الملهم الذي يلقى خلف ظهره الصيغ التقليدية بما في ذلك «توافق واشنطن الرأسمالي الجديد» و«توافق بكين البديل» ليبتكر حلولا أفريقية بديلة[1]. زعيم يؤمن بقيمة العمل والاجتهاد، يقهر الخوف ويعلي من قيمة الحرية والابتكار وإن اتهمه الناس بالجنون. إننا بحاجة إلى هذا «المجنون» مجازاً القادر على العبور بأفريقيا إلى طريق المستقبل. وعليه ربما يكون هذا الكتاب مصدر الهام لجيل جديد من الشباب الأفريقي الذي يؤمن بالعمل والاعتماد على الذات وأخذ شعار ؛حلول أفريقية لمشكلات أفريقية؛ محمل الجد.

إن المدخل الأنسب لفهم سوسيولوجية الدولة الأفريقية بعد رحيل الاستعمار يتمثل في إقتراب «ملء البطون» الذي نادى به جان فرنسوا بايار. يعني ذلك أن السياسة تعد المدخل الأساس إلى الثروات الطائلة، والتنافس على السلطة يصبح شرسا وعنيفا. فالهزيمة يمكن أن تعني النفي أو السجن أو الموت جوعا. أما أولئك الذين يفوزون بجائزة السلطة فإنها تترجم إلى مناصب رئيسية تُمنح لأفراد قبيلتهم، أو المقربين والمؤيدين لهم .

ولعل ذلك كله يُظهر أن التحدي الأكبر الذي تواجهه أفريقيا اليوم يتمثل في طبيعة أجهزة الدولة الوطنية التي تعد بحق موطن الداء، وهو ما أدركه سانكارا وعمل على تغييره. وللإجابة على سؤال ما العمل؟ فإننا نذهب مع الاقتصادي الغاني جورج آيتي في قوله بضرورة تولي جيل جديد من الشباب الأفريقي المتعلم (جيل الفهود بحسب قوله) زمام المسؤولية بدلا عن النخب الحاكمة الفاسدة. إنهم بالفعل موجودون ويعملون في العديد من المجالات مثل الزراعة والقطاع غير الرسمي، وتكنولوجيا المعلومات، والتصنيع، وحتى في الحكومة. ولكن

(١) صاغ جون ويليامسون «اجماع واشنطن» الذي أكدعلى تحرير التجارة وخصصة الشركات المملوكة للدولة واطلاق العنان للاستثمار الأجنبي المباشر. غير أن ظهور المعجزة الصينية والقوى الآسيوية الصاعدة خلال العقود الماضية أدى إلى تحدى هذا الإطار النيوليبرالي وطرح ما أطلق عليه جوشوا كوبر رامو «اجماع بكين».

ينبغي على هؤلاء الشباب أولا: بناء وصقل مهاراتهم وزيادة تراكمهم المعرفي قبل التصدي لسؤال السلطة والحكم. وذلك هو أمل أفريقيا الجديد.

ولعل تدارس تراث السنكارية بما لها وما عليها من منظور الخبرة السياسية الثورية يساعد الأجيال الصاعدة من الشباب على تدارك أخطاء الماضي من أجل صناعة المستقبل الأفريقي الذي نحلم به. وتلك هي غاية هذا الجهد المتواضع الذي نقدمه لمكتبة الدراسات الأفريقية.

والله من وراء القصد

حمدي عبد الرحمن

obeikan.com